المحاضرة الثانية: المعرفة وأنوعها

1- تعريف المعرفة:

إن منظوري العقلانية و التجريبية يصرحان أن المعرفة هي اعتقاد حقيقي مبرر، لكنهما تنحرفان في إظهار الطرق التي يمكن للمرء من خلالها أن يجد الحقيقة أو يبرر الإيمان الحقيقي، فالعقلانية ترى أن المعرفة هي نتيجة لعملية التفكير و إن خبرتنا الحسية لا تلعب أي دور و لا يمكن الحصول على المعرفة، إلا من خلال التفكير العقلاني القائم على البديهيات، أما التجريبية نادت أن الأفكار و الأشكال لا يمكن فصلها عن الأشياء المادية و المعلومات الحسية، فالمعرفة لا يتم إنشاؤها بداهة و هي ليست فطرية في شكل حتمي بل يتم إنشاؤها من خلال واجهتنا الحسية مع العالم الحقيقي،و يتم معالجتها أخيرا بواسطة أذهاننا.

إذن معرفتنا هي مجموع مفاهيمنا ووجهات نظرنا و مقترحاتنا التي تم تأسيسها و اختبارها باعتبارها انعكاسات صحيحة بقدر ما تذهب للواقع الموضوعي، كما أنها في الأساس منتج اجتماعي، إنها مبنية اجتماعيا كنتاج للنشاط الاجتماعي للرجل.

و المعرفة كذلك تبنى من قبل أفراد يتعاونون مع بعضهم البعض، و يعتمدون على بعضهم البعض و ينقلون تجاربهم و أفكارهم و بالتالي فقط في المجتمع تكتسب المعرفة و تبنى، وتكمن جذورها في الأنشطة الاجتماعية للإنسان و يتم بنائها من خلال تبادل الخبرات و الأفكار بين أفراد المجتمع في سياق مختلف أشكال نشاطهم الاجتماعي.

ومنه فاكتساب المعرفة و بنائها بطبيعتهما هي دائما سيرورة انتقال من الجهل إلى المعرفة، من عدم معرفة الأشياء إلى معرفتها ، سواء نظرنا إلى معرفتنا بشكل عام أو معرفتنا بشكل معين، فإن الحالة دائما أننا لم نعرف شيئا أولا ثم اكتسبنا المعرفة تدريجيا، و اعتبر العديد من الفلاسفة أن المعرفة لا يمكن اشتقاقها إلا من المعرفة السابقة لذلك افترضوا أنه يجب أن يكون هناك يقين أساسي تشتق منه المعرفة، و هذا يقودهم إلى استنتاجين متعارضين و لكن مضللين بنفس القدر، فمن ناحية يخترعون مبادئ مختلفة يقولون أنها مؤكدة ثم يزعمون أنهم يعرفون و أثبتوا كل الافتراضات المستخلصة من هذه المبادئ، و من ناحية أخرى فإنهم ينكرون جزءا كبيرا من معرفتنا الحقيقية لأنه لا يمكن استنتاجها.

2- أنواع المعرفة

2-1- المعرفة الحسية أو معرفة الخبرة الذاتية:

وتعد أقدم أنواع المعرفة الإنسانية، نظرا لطبيعتها التي تقوم على مجرد تكوين المعرفة والتصورات بناءا على ما تلمسه حواس الإنسان من ظواهر طبيعية أو غيرها.

فالمعرفة في هذا الطور تقتصر على مجرد الملاحظة البسيطة للظواهر دون أن يحاول الإنسان أن يتعمق إلى ما وراء الظاهرة من أسباب وعلاقات، وتسمى بالمعرفة الحسية لأنها تعتمد على الحواس، على ما تلمسه اليد، أو تراه العين، أو تسمعه الأذن مثلا ملاحظة الشخص العادي لتعاقب الليل والنهار، أو حالة المد والحزر، فالإنسان العادي في هذا الطور من المعرفة يلاحظ هذه الظواهر، ولكنه لا يحاول أن يخضعها للحجج والبراهين ليعرف لماذا أتحدث عن هذه الظواهر وكيف تحدث؟.

2-2- المعرفة الفلسفية:

تجاوزت المعرفة الفلسفية حدود الواقع والعالم الطبيعي ، وارتقت إلى العالم ما بعد الطبيعة لتبحث في الوجود كله، علله ومبادئه الأولى، وفي مسائل أكثر ابتعادا عن الواقع المادي كوجود الله، وخلود النفس وغيرها، وهي تهتم بالبحث عن المبادئ الكلية للوجود وتحاول أن تفسر الأشياء في ضوء عللها، ومبادئها الأولى.

وتختلف المعرفة الفلسفية عن المعرفة العلمية من حيث المنهج وأسلوب التفكير، فالمسائل الفلسفية يتعذر الرجوع فيها إلى الواقع وحسمها بالتجربة، والبحث الفلسفي لا يهتم بالجزيئات، بل يحاول تفسير الأشياء بالرجوع إلى عللها ومبادئه الأولى.

2-3- المعرفة العلمية:

مع نضوج العقل البشري وتطوره، وتراكم المعرفة الإنسانية بالتجربة والتأمل، ومع تزايد متطلبات الإنسان واحتياجاته في شتى المجالات، لم تعد المعرفة التقليدية بنوعيها الحسية التجريبية والفلسفية التأملية، بقادرتين على سبر أغوار الطبيعة، والمجتمع أو الإجابة الشافية على كثير من التساؤلات التي بدأت تطرح أمام الإنسان مع ازدياد احتكاكه بالواقع فجاءت المعرفة العلمية المرتكزة على التفكير والبحث العلميين لتواكب هذه التحولات وتجيب عن العديد من التساؤلات، كل ذلك بفضل ذلك المارد العملاق، الذي امتطاه الإنسان، ولا يدري إلى أين ينتهي به المطاف، أنه العلم أمل وخير في بدايته وخوف وترقب من نتائجه.

خلاصة:

ما يمكن قوله حول المعرفة هو أنها تمتاز بخاصية التراكمية فجميع أنواع المعرفة سواء الحسية أو الفلسفية التأملية جميعها صحيحة وتدخل تحت نطاق الامتداد المعرفي والتراكمي.

جدول يبين الاختلافات الموجودة بين أنواع المعرفة

المعرفة الحسية	المعرفة الفلسفية	المعرفة العلمية
تعتمد على الحواس العادية البسيطة	طبيعتها أنها مجردة	محسوسة وملموسة
تنطلق من بديهيات	تنطلق من الخيال والتأمل الفلسفي	تنطلق من وقائع موضوعية علمية
ملاحظة بسيطة ساذجة	ملاحظة تقوم على العقل(الفكر)	ملاحظة منظمة
خصائصها أنها ثابتة	خصائصها أنها محدودة	خصائصها أنها تراكمية
نتائجها محدودة	تقدم نتائج تقوم على البراهين باستخدام العقل والتحليل.	نتائجها يقينية تقدم القواعد والقوانين والنظريات العامة نتائجها قابلة للتعميم